من شؤون المسلمين والعالم

سورية بين الحلف والوحدة . . والتحرر

كانت المعاهدة التي وقّعها الأسد مع بريجينيف تتويجاً لسلسلة من الارتماءات السابقة بين يديّ الدولـــة الـــشيوعية الكبرى .. ممّا تمتدّ نتائجه إلى مجموع المنطقة العربية والإسلامية مكاناً وإلى عشرات السنين القادمة –إن تمّكن الحكـــم القائم من البقاء– زمنا

ولقد تجلّت التبعية للسوفييت إلى الآن –وليست سورية منفردة بين الدول العربية على صعيد التبعية– في خـــبراء مدنيين وعسكريين يتجاوز عددهم الألوف ، ويعملون في مختلف المؤسسات المدنية كما يعملون في القوات المـــسلحة وفي قوات البطش الخاصّة المسلّحة بأحدث الأسلحة الفتاكة .. وسيزيد عددهم وتتضاعف صلاحياتهم بالمعاهدة

وتجلّت في تسهيلات متزايدة لاستخدام الموانيء السورية وعدد من المشآت العسكرية السورية في منطقة الـــساحل بصورة خاصة .. وسيتّسع نطاق هذه التسهيلات نوعاً ، كما يتسّع حجماً ليشمل المطارات والقواعد العسكرية مـــا بين دير الزور واللاذقية ودمشق بعد عقد المعاهدة

وتجلّت في امتيازات متزايدة تعطى للشيوعيين الموالين لموسكو داخل سورية بدأت بالتصريح لهم بإصـــدار مجلّـــة خاصة ، وامتدّت إلى مشاركتهم في العديد من مجالات الحكم والإدارة ، ووصلت إلى التصريح لأفرادهم بالتسلّح .. وسيزداد نفوذ هؤلاء مع من يستعينون لهم من الخبراء السوفييت بعد عقد المعاهدة

وتجلّت أيضاً في مواقف رسمية للحكم السوري القائم ، كانت مخزية على الصعيد العربي والإسلامي والـــدولي ، بدءاً بالتخلّي عن المسلمين من ضحايا الفتك الشيوعي الوحشي الذي يشترك فيه الأحباش والسوفييت والكوبيـــون ، وانتهاءً بالتخلّي الرهيب عن المسلمين من ضحايا الفتك الشيوعي السوفييتي المباشر في أفغانستان والوقـــوف منـــهم موقف العداء الصريح على كلّ صعيد .. وستزداد ألوان هذه المواقف المخزية في المستقبل بعد المعاهدة ..

وإنّ رئيس النظام الحاكم في سورية بالبطش والإرهاب وألوان الفتك والتعذيب ليدين نفسه بلسانه وهو يـــصف المعاهدات بين دولة كبرى ودولة صغرى قبل سنوات معدودة بأنها لا يمكن أن تكون إلاّ معاهدات استسلام وتبعية ، ثم يوقّع بنفسه على معاهدة الاستسلام والتبعية

ولئن كان النظام الحاكم في سورية يبرّر هذا (التصعيد النوعي) للعلاقات مع موسكو بألوان التبريـــر ، فمبرّراتـــه ساقطة واحداً بعد الآخر كما يستنتج من نصوص المعاهدة ومن مواقفه هو على صعيد القضايا العربية والإسلامية ..

وفي مقدّمة التبريرات المخادعة الحديث عن قضية فلسطين ، وعن مؤامرة كامب ديفيد المشينة المحيطــة بقــضية فلسطين ، ويكفي في الأصل أن ينظر المرء نظرة واحدة في مواقف الحكم القائم في سورية من هذه القضية الإسلامية المصيرية على مدى عشرة أعوام مضت ، ليتبيّن بطلان هذه الدعوى من جذورها .. فليس يخدم قضية فلسطين ، ولا يعمل بإخلاص من أجل فلسطين ، حكم بدأ بتسليم الجولان عام ١٩٦٧م ، وأعلن الاستعداد للصلح مــع الكيــان الصهيوني الغاصب عقب حرب ١٩٧٣م ، ومرّ على جثث أبناء فلسطين في تلّ الزعتر عام ١٩٧٥م ، ثمّ يدّعي الآن أنه يريد بالمعاهدة إيجاد قوة جديدة في المنطقة لمواجهة مؤامرة كامب ديفيد ، وهو يقول في نفس الوقــت إنّ مــشروع المؤامرة قد انهار من نفسه لتبجّح الصهيونيين أمام استسلام السادات .. ولو صدق نظام الحكم في سورية في العمــل على مواجهة هذه المؤامرة المشينة ، لتبنّى خلال السنوات الثلاثة التي مرّت عليها حتى الآن سياسة العــودة بقــضية فلسطين إلى جذورها ، تمكيناً للشعوب من خدمة قضيتها بنفسها بدلاً من حكمها بالإرهاب والمخابرات ، وتمكينــاً لأبناء فلسطين من القتال وتعبئة الصفوف بين الجماهير بدلاً من حصارهم بين الليطاني وبيروت ، بين المدافع السورية التي تمنعهم من التحرّك إن أرادوا التحرّك والطائرات الإسرائيلية تفتك بهم في المخيّمات حيث ألجأتهم القوات السورية والصليبية بلبنان قبل سنوات ..

لو صدق نظام الحكم القائم في سورية –وصدقت معه أنظمة الحكم الأخرى– لتبنّى على المستوى العربي سياسة أخرى غير سياسة ترسيخ أسباب الخلاف ما بين الصحراء الغربية إلى الخليج ، وألوان التحالف والتبعيات وبناء المحاور ما بين موسكو وواشنطون ..

إنها لمهزلة المهازل أن يتحجّج المفرّطون بالقضية المصيرية ، للقيام بمزيد من خطوات التفريط بفلسطين وبسواها من القضايا المصيرية في آن واحد ، على طريق ربط البلاد بالشرق والغــرب ، وتمزيــق وحــدة الــشعوب بالاقتتــال والمؤامرات ، وهدر الطاقات بألوان حكم الحديد والنار

وإنّ المعاهدة مع موسكو ، التي رفضت موسكو فيها الالتزام بدعم سورية عسكرياً بصورة تلقائية في حالة نشوب حرب مع الكيان الصهيوني الباطل ، لا يمكن أن تكون من أجل قضية فلسطين بحال من الأحوال .. وعنــدما يقــرّ الطرفان بالعزم على إجراء مشاورات ثنائية في حالة الضرورة ، فلا يعني هذا إلاّ أن موسكو –وهي الطرف الأقــوى في المعاهدة– ستكون على استعداد لدعم نظام الحكم في سورية عندما يخوض معركة تحقّق لها مزيداً من المــصالح في المنطقة ، وستمتنع –وليس في مقدور الحكم السوري وهو الطرف الأضعف أن يجبرها– عن المساعدة لــو نــشبت معركة لا تتحقّق فيها مصلحة لها .. بل وستمنع حتى استخدام الأسلحة الحديثة التي يمكن أن تورّد إلى ســورية مــا دامت توضع تحت إشراف مباشر للخبراء السوفييت

وهيهات تنشب على أيدي الحكم السوري القائم معركة لتحرير فلسطين ، وهيهات تكون في معركة التحريــر والعودة مصلحة من مصالح لموسكو ، وهذا التي رفعت نسبة المهاجرين اليهود السوفييت عام ٧٩م .. العــام الــذي

تتشدّق خلاله بالوقوف جنباً إلى جنب مع (جبهة الصمود والتصدّي) لمؤامرة كامب ديفيد .. وهي التي لا تخفـــي – كالحكم السوري نفسه– أن قضية بقاء (إسرائيل) أمر مفروغ منه

إنّ الحكم القائم في سورية ، إذا كانت له أسباب خارجية دفعته إلى عقد هذه المعاهدة الرهيبة فهـــي أســـباب لا صلة لها بقضية فلسطين ، وإنّما تكمن في أن أنظمة الحكم العربية ضاعفت في هذا العام بصورة خاصة ، تسابقها على التحالف الخارجي مع الشرق والغرب ، ترسيخاً للتبعية وتمكيناً للدولتين الكبريين من أراضـــينا وثرواتنـــا ومـــصائر شعوبنا ، بأمل المحافظة على العروش وكراسي الرئاسة ، بعد أن ظهرت بوادر الصحوة الإسلاميّة وبـــدأت تـــتلمّس طريقها إلى تحريك الشعوب نفسها للثورة على الواقع الراهن وتقويض دعائمه واستئصاله من جذوره

ولا يجهل متتبّع للأحداث خلال هذا العام ، أن العزلة التي وقع فيها الحكم القائم في سورية على المستوى العـــربي لا تعود إلى ما قام ويقوم به من فتك بشعب سورية المسلم ، وإنّما إلى عجزه تحت ضغط الثورة الداخلية أن يسير في فلك التبعية للغرب التي ترسّخها أنظمة الحك الأخرى .. فاختار التبعية للشرق أملاً في إنقاذ البقية الباقية من وجوده ، وأملاً في الخروج الجزئي من عزلته ولو ظهرت حقيقته الانتهازية على الصعيد الخارجي كما ظهرت علـــى الـــصعيد الداخلي من قبل ..

وما كانت خطوة الوحدة الفوقية بين النظامين الحاكمين في سورية وليبيا إلاّ صورة من صور المحاولات اليائـــسة للخروج من هذه العزلة ، وإقامة محور تابع للشرق الشيوعي مقابل المحور القائم التابع للغرب الرأسمالي

إنّ وحدة تقوم بين نظام طائفي استبدادي ، لا يمرّ يوم من أيامه الأخيرة إلاّ بارتكاب جريمة جديدة ، ولا يتمكّن من المحافظة على أفراد حكمه إلاّ بالمذابح الجماعية التي يرتكبها في الطرقات وأعماق السجون ، وبالاستعانة بـــالخبراء الشرقيين داخل وحدات البطش المسلّحة الطائفية ..

إنّ وحدة تقوم بين هذا النظام الذي أفلس داخلياً وخارجياً وبين نظام حكم شاذّ في وجوده ، اخترع رئيسه (ديناً جديداً) ليبرّر به بقاءه ، ومارس من ألوان الشذوذ السياسي ما جعله أضحوكة العالم ومأساة مريرة في واقـــع شـــعبه المنكوب به ، وارتكب من جرائم القتل الخفيّ والعلني والاعتقال العشوائي والبطش بكلّ من يرفـــع صـــوته بـــأدنى اعتراض على وجوده ما لا يفوقه فيه إلاّ نظام الحكم في سورية .